* *

الهدايــة فـي سـورة الفـاتـحـة

الدكـتورة : زينـب بـشـيـر الـغـصـنـي*

ملخص البحث

يتناول البحث دراسة لموضوع الهداية في سورة الفاتحة من خلال لغة السورة مفردات وجملا وتراكيب ، والغرض الذي قامت عليه السورة ، فجاءت المعاني والدلالات شاملة لكل مراتب الهداية ، هداية العقل ، هداية القلب والوجدان ، وهداية السلوك بالاقتداء بالأنبياء والصالحين ، وهداية والتضرع والدعاء ، وهداية الإلهام ونور البصيرة ، فالله سبحانه هو أصل الهداية على الدوام تعليما للعبد وتوفيقا له وخلقا للإرادة فيه ، إقدارا له، وخلقا للفاعلية فيه وتثبيتا له إلى الممات ، فليس أعظم للعبد من سؤال الهداية .

مقدمــة

إن تدبر القرآن و فهمه و تفسيره ، يتطلب النظر إلى النص القرآني من جوانب متعددة و على مستويات مختلفة ، و التوصل إلى معاني القرآن و هدايته بالوقوف على دلالة مفرداته ، و تراكيبه النحوية و البلاغية ، والغرض الذي سيق الخطاب لأجله ، و النظر في كيفيات القول و أساليبه ، و ما يكتنفه من ظروف في زمن النزول ، ذلك للحصول منه على أوفر الدلالة و أقصى المعاني المرادة لله سبحانه من كلامه .

*– عضو هيئة التدريس بجامعة سبها كلية الآداب/ قسم اللغة العربية وعلوم القرآن

ومما يلزم المتدبر للقرآن فهم مقاصده ، و حكمته البالغة التي انطوي عليها خطابه ، وأول هذه المقاصد مقصد الهداية التي صاغه القرآن في شكل سور وآيات انتظمت و ترتبت علي هذا الأصل ، فجاءت مترابطة متناسبة يشدها مقصد الهداية بعضها إلي بعض ، فلا غرو أن موضوع الهداية هو أعظم ما يطلب من القرآن الكريم فهما وتفسيرا.

الهداية لغة وشرعا :

الهداية فى اللغة: الدلالة بتلطف و الإرشـــاد و التبيين والإلهام [1] وجاء في اللســـان هديته الطريق أي عرفته فيعدى إلى مفعولين ، ويقال هديت له الطريق على معني بيّنت له الطريق وهداه إلى الطريق و للطريق بمعنى أرشده [2] ، أما في اصـطلاح الشـرع فهي حين تسـند إلى الله سـبحانه تدل على ما يرضـــي الله عز وجل من فعل الخير ومن من خضـــوع و امتثال و اجتناب و وهي أقصى غاية الخضوع و التذلل ، ويقابلها الضلالة[3] .

القرآن الكريم كتاب هداية :

لقد أنزل الله سبحانه القرآن ، هدى فيه الإنسان إلى معرفة ربه وخالقه ، ودعاه إلى توحيده وعبادته مخلصا له دينه ،هداه إلى طريق الخير ، هداية شملت كيانه كله ، عقله وقلبه وسلوكه، بيّن له الصلاح في الباطن و الظاهر،

(1)– الرازى: التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، لبنان، دار الباز، مكة المكرمة، ج1، ص 19، – أبو حيان: البحر المحيط في التفســـير ، لبنان ، دار الفكر ، 2005م ، ج1، ص 44. ابن عطية: المحرر الوجيز،تحقيق :عبد الله بن إبراهيم الأنصاري . القاهرة ، دار الفكر العربي ، مج1، ص 116

(2) ابن منظور : لسان العرب ، مصور على طبعة بولاق ، مادة : (هدى) ، ج20 ، ص230 .

(3)ابن عاشـــور: التحرير والتنوير، مج1، ج1، ص 188، ابن عطية: المحرر الوجيز، ج1 ص 118.

وكلاهما لا يكون إلا بصلاح الآخر ، فكيف جاءت الهداية في سورة الفاتحة ومما تكونت؟

بين يدي السورة :

الفاتحة سورة مكية باتفاق الجمهور، وعدد آياتها سبع آيات ، وسميت فاتحة الكتاب ؛ لأنه يفتتح المصحف بها ويقرأ بها في الصلوات ، فهي فواتح لما يتلوها من سور القرآن في الكتابة والقراءة ، وتسمى أم القرآن لتقدمها على سائر سور القرآن ، وتأخر ما سواها خلفها تقدم الأم والأصل ، أو لاشتمالها على ما فيه من الثناء على الله بما هو أهله، والتعبد بأمره و نهيه والاطلاع علي معارج السعداء ، ومنازل الأشقياء ، والعرب تسمي كل أمر جمع أمورا ، وكل مقدم له توابع تتبعه " أما" وهي الثالثة في ترتيب النزول على الراجح ، وهي من السور ذات الأسماء الكثيرة والتي ثبت منها فاتحة الكتاب والسبع المثاني و أم القرآن أو أم الكتاب[1]

وصيفة (فاتحة) تقتضي أن موصوفها شيء يزيل حاجزا ، جعلت أول القرآن لمن يريد أن يقرأ القرآن من أوله فتكون فاتحة بجعل الرسول ﷺ في ترتيب المصحف الشريف[2] .

ومن ثم فإنه يمكن لنا فهم و تدبر المستويات التالية :

(1) الطبري : جامع البيان ، تحقيق : عبدالله بن محمد عبد المحسن ، دار هجر للطباعة والنشر ،مج1 ، ج1 ص 105 . وانظر : القاسمي : تفسير القاسمي ، غلق عليه : محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية ، ط1 ، 1957 ،ج1 ، ص244 ، ابن عاشور التحرير والتنوير ،ج1 ، ص131، 135.

(2) ابن عاشور : التحرير والتنوير ج1 ، ص 132 .

أولاً التحليل اللفظي: إن معاني مفردات القرآن أول ما يجب تحصيله للمنشغل بالقرآن لأنها أول اللبن المعينة على بناء ما يريد أن يبنيه [1] .

سورة الفاتحة هي قول الله تعالى[2]:بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ:﴿**الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالّينَ**﴾

الحمد[3] : الثناء على الممدوح بصفاته من غير سبق إحسان ؛ و الحمد أعم من الشكر.

الله : لفظ الجلالة اسم لذات واجب الوجود المستحق لجميع المحامد و هو العلم المؤذن بمفهوم الألوهية، والتأله هو المحبة والطاعة والخضوع[4] .

رب[5]: السيد المربي السائس المدير للأمور كلها ، و التربية تبليغ الشئ إلى كماله تدريجيا .

العالمين[6]: هو كل ما سوى الله تعالى مأخوذ من العلم و العلامة ؛ لأنه يدل على مُوجده .

---

(1)الراغب الأصفهانى: معجم مفردات القرآن، تحق : يوسف الشيخ محمد ،لبنان دار الفكر ،2010 م ، ص 8، وانظر: الزركشـــى: البرهان فى علوم القرآن، تحق : أبو الفضـــل الدمياطي ،القاهرة ، دار الحديث ، ص 431.

(2)الفاتحة : الآية (1-7) .

(3) انظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن : القاهرة ، دار الحديث ، 2005، مج1، ص136.

(4) انظر :ابن قيم الجوزية: محبة الله عز وجل،ص241.

(5)انظر البيضاوي : تفسير البيضاوي ، تحقيق : مجدي فتحي السيد ، ياسر سليمان أبوشادي ، القاهرة ، المكتبة التوفيقية ، ج1، ص13 .

(6)انظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، مج1 ، ص139 . 140 .

ملك و مالك على القراءتين : يفيد أنه المتصرف وحده في شؤون ذلك اليوم ، يوم القيامة دون شبهة مشارك .

يوم الدين : يوم القيامة مبدأ الحياة الآخرة و الدين بمعنى الجزاء و الحساب للخلائق ، يُدينهم بأعمالهم إن خيراً فخير و إن شراً فشر إلا من عفي عنه [1] .

نعبد : العبادة : شرعاً فعل ما يُرضى الرب من خضوع و امتثال و اجتناب و وهي أقصى غاية الخضوع و التذلل ، و منه طريق معبد أي مذلل و لا تستعمل إلا في الخضوع لله سبحانه [2] وعرفها ابن تيمية أنها فعل المكلف على خلاف هوي نفسه تعظيما لربه[3] .

الاستعانة : على الأفعال ، و أعلاها الدين ، و كل ما يعسر على العبد تذليله من توجهات النفوس للخير و سيرها إليه [4].

اهدنا : الهداية : دلالة بتلطف و لذلك تستعمل في الخير وهي هنا الإرشاد و التوفيق[5].

الصراط : الطريق : و المقصود به الحق الذي يفوز متبعه برضا الله و هو المتابعة لله و رسوله [6]

---

(1)ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : حامد أحمد الطاهر ، القاهرة ، دار الفجر للتراث ، ط1 ، 2002م ، ج1، ص46 .

(2) انظر : البيضاوي : تفسير البيضاوي ، مج1 ، ص15 .

(3) ابن تيمية : العبودية ، بيروت ، دار المكتبة العلمية ، 1997، ص4 .

(4)ابن عاشور : التحرير و التنوير ، تونس ، دار سحنون ، مج1 ، ج1 ، ص184 .

(5) البيضاوي : تفسير البيضاوي ، ج1 ، ص15 / ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج1، ص49 .

(6)ابن كثير : تفسير القرآن العظيم : ج1 ، ص 50 .

المســـــتقيم : البـــين الـــذي لا يخلطـــه شـــبهة الباطـــل ؛ وهـــو ديـــن الإسلام و طريق الرسول ﷺ[1] .

أنعمـــت علـــيهم : النعمـــة الحالـــة الحســـنة التـــي تصـــفوا ممـــا يكـــدرها و لا تـــلحقها عاقبـــة الســـوء ، و هـــي شـــاملة لخيـــرات الـــدنيا و الآخـــرة [2] وهم من عرفوا الحق و عملوا به .

المغضـــوب علـــيهم : هـــم مـــن عرفـــوا الحـــق و حـــادوا عنـــه ، فغلّبـــوا شـــهوات الـــدنيا و اســـتخفوا بالـــدين اتباعـــا للهـــوى ، و هـــم العصـــاة و الفساق الجاهلون بالله [3] و منهم اليهود .

الضـــالين : هـــم مـــن حرّفـــوا الديانـــة عـــن عمـــد ،و عـــن ســـوء فهـــم مـــنهم و قلـــة إصـــغاء و مـــن هـــؤلاء النصـــارى ، و الضـــلال مقابـــل الاهتـــداء و الاهتـــداء الإيمـــان الكامـــل و الضـــلال مـــا دون ذلـــك فهـــو درجات أدناه ترك السنن و أقصاه الكفر [4] .

***ثانيا* : التركيب النحوي :**

يشتمل سياق السورة على ثلاث جمل نحوية جملة اسمية ﴿ الْحَمْدُ للّهِ ﴾ و جملتين فعليتين مكافئتين للجملة الاسمية من حيث الموقع الإعرابي لأنهما يتعلقان بلفظ الجلالة الوارد في الجملة المتصدرة للسورة ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ، وهما جملة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وجملة ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ وجاء﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمنِ الرَّحِيم﴾ صفات للفظ الجلالة ، كما جاء ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ ﴾

(1)ابن عاشور : التحرير و التنوير ، مج1 ، ج1 ، ص193

(2)المصدر نفسه ، ص193

(3) البيضاوي : تفسير البيضاوي ، ج1 ، ص17

(4) ابن عاشور : التحرير و التنوير ، مج1 ، ج1 ، ص199 .

بدلا من صراط الله المستقيم أو عطف بيان ، فكأن السورة كلها جملة واحدة ولفظ الجلالة هو اللفظ المحوري الذي تدور عليه السورة .

***ثالثا* : التحليل البلاغي :**

تحمل الجملة الاسمية ﴿ الْحَمْدُ للّهِ ﴾ من الخصوصيات ما يناسب المحمود بها من الدلالة على الدوام و الثبات و استمرار الحمد ، و يستغرق تعريف الجنس في لفظ ﴿الْحَمْدُ﴾ جميع أنواع المحامد و أجناسه في جميع الأزمان و اختصاص هذه المحامد به في لام ﴿ للّهِ ﴾ فهي مختصة به [1] سبحانه و الوصف بالرب و ذكره ، يبرز المهمة الأولى للمربي وهي التربية و الهداية ، و قد اقترنت الهداية بلفظ الرب كثيرا في القرآن الكريم قال تعالى[2]﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ و قال[3]﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.

و استغرق التعريف بالجمع في لفظ العالمين جميع أجناس الموجودات و جميع أفرادها و كل ما سواه سبحانه ، و صيغة الرحمن (فعلان) دالة على الحدوث و التجدد أما صيغة الرحيم (فعيل) فهي دالة على الثبات ، فجمع الوصفان رحمته الثابتة و المتجددة ، , بيّنا كمال الرحمة و شمول معانيها، وجمع التعبير بيوم الدين معاني كثيرة فهو يوم الحساب و يوم الجزاء و يوم

(1)ابن عاشور : التحرير و التنوير ، ص160.

(2)سورة طه : الآية (122) .

(3)سورة الأنعام : الآية (161) .

الطاعة و يوم الخضوع لله و يوم القهر، فهو يوم يُعزُّ فيه أهل طاعته و يقهر فيه أهل معصيته [1] .

و أفاد تقديم الضمير في ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِين ﴾ الحصر الحقيقي أي لا نعبد سواك فتتحققت فيه البراءة من الشرك بكل أنواعه ، و قد تعدى الفعل بنفسه بدون حرف في قوله : ﴿ اهدِنَـا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ ﴾ فيكون المعنى جامعا لكل أنواع الهداية وهي التعريف و الإلهام و المقدرة و الإيصال إلى الغاية ، ولو عدي بحرف لتعين المعنى بحسب الحرف [2] ، فجاء المعني شاملا كل أحوال الإنسان بكل كيانه .

و في وصف الصراط و تعريفه بصراط المنعم عليهم قدر زائد على معنى الاستقامة و هو التأسي و المتابعة والاقتداء لتقبل عليه النفوس و تقتحمه و تأنس فيه لكثرة السالكين فيه [3] .

و قد تقدم الغضب على الضلال في قوله سبحانه : ﴿ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾ لاقتضاء مقام الدعاء ، و أقدم صفات العصاة صفة المغضوب عليهم .

و أقدم معصية ظهرت في الوجود و في الملأ الأعلى هي معصية إبليس ، ذلك أنه كان عالماً بالحق عارفاً له فعصى ربه و خالف أمره ، فغضب الله عليه

(1) فاضل صالح السامرائي : لمسات بيانية ،الأردن ، دار عمار ، ط3 ، 2006م ، ص38

(2) ابن قيم الجوزية : بدائع الفوائد : تحقيق ، سيد عمران ، عامر صلاح ، القاهرة ، دار الحديث ، ، 2006م ، ج2 ، ص253.

(3)ابن القيم : بدائع الفوائد ، ج2 ، ص259 .

و لعنه ، ثم الإضلال و هو ما قطعه إبليس على نفسه من أن يُضِل بني آدم[1])﴿وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَ لأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ .

و أول معصية ظهرت على الأرض هي قتل ابن آدم أخاه متعمداً ظالماً بعد أن قربا قرباناً فتقبل من أحدهما و لم يتقبل من الآخر [2] ، و جاء المغضوب عليهم بالبناء للمفعول لاقتضاء المقام فالمقام تلطف و تذلل وترفق لطلب الإحسان فقد قامت السورة على غرض الدعاء .

و من طُلب منه الهداية و نسب الإنعام إليه لا يناسب نسبة الغضب إليه [3] ثم لتعميم الغضب عليهم فلا يخصص بغاضب معين ، غضب الله و غضب ملائكته و الأنبياء و الصالحين و الأولياء ، فهو غضب الله و غضب الغاضبين لله ، فسيغضب عليهم أخلص أصدقائهم ، حين تنقطع العلائق بينهم إلا المودة في الله [4]﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾[5] و قوله تعالى [6]﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضاً﴾ حتى يتبرأ الإنسان من جلده و جوارحه التي تشهد عليه فهم مغضوب عليهم من كل شئ ، و من كل أحد .

فقد بنيت السورة على الفصل من شدة تماسكها و قوة ارتباط معانيها بعضها مع بعض .

(1)سورة النساء : الآية (119) .
(2)السامرائي : لمسات بيانية ، ص67 .
(3)أبوحيان : البحر المحيط ، بيروت ، دار الفكر ، 2005م ، ص53 .
(4)السامرائي : لمسات بيانية ، ص66 .
(5)سورة الأنعام : الآية (94) .
(6)سورة العنكبوت : الآية (25) .

رابعاً **: تفسير السورة :**

إن ارتباط معاني السورة بلفظ الجلالة (الله سبحانه) و الترابط القوي في التركيب النحوي و البلاغي يدل على ترابط دلالي ، هو أن معاني السورة تدور على موضوع واحد محوري هو موضوع الهداية إلي الله سبحانه والتي تمثلت في أمرين **الأول** : حقيقة الهداية وصورتها المطلوبة ، **الثاني** : طريق تحقيقها و الثبات عليها .

وذلك لأن طلب الهداية جاء على لسان الذين اهتدوا مما يدل على أن الهداية مراتب و مراحل، فإذا قال القائل ﴿ اهدِنَـا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ ﴾ فهو طالب من الله أن يعرفه إياه و يعلمه و يبينه و يلهمه إياه و يقدّره، فيجعل في قلبه علمه و إرادته و القدرة علي سلوكه فيكون مريداً له ثابتا عليه ، و قد جُرد الفعل ﴿ اهدِنَـا﴾ من الحرف فلم يقل إهدنا إلى الصراط المستقيم أو للصراط المستقيم ليشمل كل هذه المراتب .

فالله سبحانه هو أصل الهداية على الدوام تعليماً و توفيقاً و خلقاً للإرادة فيه و إقداراً له ، و خلقاً للفاعلية فيه ، و تثبيتاً له إلى الممات ، فليس أعظم ضرورة من سؤال الهداية [1] و التي تتمثل فيما يلي :

أولاً **: الهداية المعرفية (الدلالة و البيان) :**

1 – معرفة الله سبحانه :

إن اللفظ الذي تتفرع عنه كل معاني السورة و تعود إليه هو لفظ الجلالة الله جل شأنه في قوله :﴿ الْحَمْدُ للّهِ ربِّ العَالمِين ﴾ الجملة التي تصدرت السورة و افتتحت بها و الذي يقتضي معرفة العبد بالله سبحانه و تعالى من خلال وصفين الأول ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الذي بين ضلال الفكر الجاهلي في معنى الألوهية و من الذي يستحقها فهو أعظم مما كان أهل الجاهلية ينعتون به آلهتهم من نحو

(1)ابن القيم : بدائع الفوائد ، ج2 ، ص70 .

قولهم إله بني فلان ، و قد كانت الأمم تتخذ آلهةً خاصة[1] كما حكى الله سبحانه عنهم ذلك في قوله [2] ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ وترتُب الحكم (الحمد لله) على الوصف (رب العالمين) يشعر بعليته له ، أي أن من لم يتصف بتلك الصفة لا يستأهل لأن يُحمد فضلاً عن أن يُعبد[3] فهو سبحانه رب الموجودات كلها أنعم عليها بالرعاية و الحفظ و التربية ، و أوصلها إلى كمالها التكويني تدريجياً بالرحمة بالتمكين و التعليم بإرسال الرسل و إنزال الكتب السماوية ، و هذا يقتضي أن الجميع مفتقر إليه حال خلقه و إيجاده و حال بقائه و كل ما سواه لا يستغني عنه، فهو مبلغهم كمالهم المادي و الروحي بهدايتهم إلى الصراط المستقيم و إلى خاتمته الجنة ' ذلك أن الشركاء الذين يعبدونهم من دون الله لا يعرفون مبدأ الطريق فضلا عن بلوغ الجنة ، كما يقتضي الوصف برب العالمين أنه سبحانه حاضر في كل زمان و مكان ؛ لأنه رب العالمين جميعاً فلا يغيب عنهم و لا يغيبون عنه ، و العبادة إنما يستحقها الحاضر الذي لا يغيب [4] ، كما جاء على لسان سيدنا إبراهيم في قوله تعالى[5]﴿ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِين ﴾ فهو بذلك المستحق وحده للعبادة و التقديس .

2- جميع تصرفات الله سبحانه فينا رحمة :

الرحمة وصف ذاتي و جميع تصرفه تعالى في الأكوان و الأطوار تصرف رحمة ذلك أن التربية تقتضي الرحمة ، لأنها توصيل الشئ إلى كماله شيئا فشيئا ، فالرحمة تتضمن أن تلك التربية الرحيمة لم يتخللها إعنات و لا مشقة ، بل كان

(1)ابن عاشور : التحرير و التنوير ، مج1 ، ج1 ، ص176 .
(2)سورة الأعراف : الآية (138) .
(3)البيضاوي : تفسير البيضاوي ، ج1 ، ص14 .
(4)السامرائي : لمسات بيانية ، ص47 .
(5)سورة الأنعام : الآية (76) .

برعاية ما يناسب كل نوع ، و ما يلائم طاقته و استعداده بطريق الرفق و التيسير و رفع الحرج حتى في جملة الأحكام و التكاليف الراجعة إلى منافعنا ، و كل تدبيره بنا رحمات ظاهرة مثل التمكين في الأرض و تذليلها لنا و تيسير منافعها [1] قال تعالى[2]﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ و قال[3]﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ .

ومن كمال رحمته إقامة العدل فهو من ضرورات التربية و الإصلاح حتى يتميز فيه المحسن من المسيء و يظهر الانتصاف للمظلومين من الظالمين في يوم الحساب و الجزاء ،و العباد أحوج ما يكونون آن ذاك إلى مالك الرحمة ليرحمهم ، و تعاقب الوصفين ﴿ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ﴾و﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ يقوى أمل العباد في الرحمة و يرغبهم فى التوبة [4]﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ وهو من أعظم معاني الملك فموصوف هذه الصفات حقيق بالعبادة و بالحمد الكامل فينساق العبد إلى عبودية الله اختيارا بعد عبوديته اضطرارا .

3- الله سبحانه محمود بذاته و بصفاته :

إن لفظ الجلالة " ﷲ " اسم للذات العلية المتصفة بالصفات العليا ، و الحمد لله تعني أنه المستحق للحمد بذاته و بجميع صفاته ، وهو محمود في رحمته يضعها في محلها لمن يستحقها ، و محمود في تربيته و محمود في ما يكتبه يوم الدين حيث يتميز فيه أهل الخير من أهل الشر ، و قد استغرق الحمد كل الأزمنة

(1)ابن عاشور : التحرير و التنوير ، مج1 ، ج1 ، ص173 .
(2)سورة الملك : الآية (15) .
(3) سورة هود : الآية (6) .
(4)سورة الزمر : الآية (53) .

حين كان الله و لم يكن شيء معه في قوله ﴿ الْحَمْدُ للّهِ ﴾ واستغرق الحمد حين خلق العالم ربّه و أنشأه في قوله﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ و استغرق الرحمة وقت كانت تنزل وهي لم تنقطع و لا تنقطع ، فهي ثابتة و متجددة ﴿ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ﴾، و استغرق الحمد يوم الجزاء و هو يوم لا ينتهي فأهل الجنة خالدون فيها و أهل النار خالدون فيها [1] فلم يترك وقتا إلا استغرقه اللفظ منذ الأزل إلى الأبد .

***ثانيا*: الهداية القلبية و النفسية (الإيمان بالله والاستعداد لتلقي شريعته وإلهامه):**

و هي الهداية التي تستلزم معرفة الله بالقلب و المشاعر ، إذ لا تكفي المعرفة بالعقل وحده بل لا تتم معرفة الله حقا إلا باجتماع معرفته بالعقل و القلب و المشاعر و إدراكه بمجموعها ، و ذلك بتقديسه وتعظيمه و محبته وحده ، و خلو القلب مما سواه .

و ذلك هو كمال المعرفة بالله ، لما عرف من ربوبيته لسائر الموجودات ، فيعلم العبد نسبة قدرته و علمه من علم الله و قدرته ، فيظهر له مدى عجزه و ضعفه أمام الله سبحانه جلت قدرته ، و الإيمان بالافتقار إليه وحده سبحانه على الدوام و اللجوء إليه وحده و الاعتماد عليه، و بذلك يُنزل العبد نفسه منزلها الصحيح من الله و يعلم يقينا طبيعة وجوده في كون الله ، و من ثمّ يملك الشعور بوحدانيته وعظمته وقهره لكل من في الوجود فهم في قبضته وتحت سلطانه وقدرته، فيتخلى عن تكبره و تجبره و يتواضع لله في علاقة صحيحة و صحية هي علاقة العابد بالمعبود علاقة القلب بالله في قوله ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ الذي هو شعور بالمحبة البالغة إلى درجة العبودية ، لأنه ولي النعمة و القادر على الإنعام

(1)انظر : السامرائي : لمسات بيانية ، ص40 .

، ومن أعظم مظاهر ذلك الدعاء و السؤال مع الخضوع والتذلل، و هو ما يظهر من حال العبد في سورة الفاتحة الذي يقتضي الاعتراف بالعجز و القصور والحاجة و الإحساس بهما في قوله :﴿ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ، والاستعانة هي فزع من القلب إلى الله وتعلق من النفس به ، وذلك مخ العبادة ، فإذا توجه العبد إلى سواه كا ن ضرب من ضروب العبادة الوثنية التي كانت منتشرة في زمن التنزيل [1] ، فلا يتوهموا القدرة على الفعل فيمن اتخذوهم أولياء من دون الله ، فأزال الله اللبس عنهم ، كما يقتضي الافتقار إلى هدايته الكاملة و توفيقه بقولـه ﴿اهدِنَـا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ فيحصل للعبد صلاح القلب و من ثم صلاح الجسد كله لقول الرسول ﷺ[2] "ألا و إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله و إذا فسدت فسد الجسد كله ألا و هي القلب" .

إن الذي يصل إلى الطريق يحتاج إلى هاد يعرفه بأحوال الطريق وما فيها من مخاوف ' و أماكن الهلكة و الأمن و ما يحتاجه وهو سائر فيها ، فالهداية النفسية تتطلب أمرين :

1- عبودية القلب لله :

تُصور الفاتحة حالة قلبية مخصوصة و دعاء مخصوص، حالة قلب منفعل بمعرفة الله تمام المعرفة و عبادة مستلزمة لمحبة الله ، و من ثم خضوع و دعاء بطلب الهداية مع أن الداعين هم من اهتدوا ، ذلك لأنها هداية خاصة بحال القلب و هو ما يحتاج إلى الثبات و الترسيخ و التزكية و التقوية خوفا من التقلب و من الضعف، كما يحتاج إلى الرسوخ في العلم و المحبة الخالصة فلا يحبه لمصلحة و لا يعبده على حرف ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ

(1) محمد عبده : تفسير المنار ، دار المنار ، القاهرة ، د.ط ، ج1 ،ص59 .

(2) ا لبخاري: صحيح البخاري ،تحقيق:محمد زهير بن ناصر،دار طوق النجاة ، ط1 ،1422ه،باب فضل من استبرأ لدينه ،(52)،ج1،ص22.

أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾[1])بل محبته لذاته سبحانه فلا يقدس العبد شيئا و لا يعظمه بما هو لله وحده، و لا يحب شيئا على وجه العبادة إلا الله وحده و لا يعتمد بقلبه على شيء إلا عليه وحده قال تعالى:[2])﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾" إن الله جعل في هذه الآية الدنيا وشهواتها و لذائذها في كفة ووضع العقيدة ومقتضياتها في الكفة الأخرى، وضع الآباء والأبناء و الأزواج والأخوة والتجارة و الأموال (مطمح الفطرة ورغبتها) في كفة و وحب الله ورسوله والجهاد في سبيله في الكفة الأخرى ، إنها لكبيرة حقا ولكن الله أرادها كذلك وإلا فتربصوا حتى يأتي الله بأمره"[3]) .

فإذا غلبت محبة الله على محبة ما سواه من الأموال و الأولاد و الأزواج و الجاه و السلطان و المناصب فقد اهتدى القلب تمام الهداية حيث وضع الدنيا و متاعها في نصابها الصحيح وحجمها الحقيقي و أنزلها منزلها الصحيح ، فلا تخرج حقيقتها عن إطار اللعب و اللهو ، لذلك يحبها العبد و لا يعبدها ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾، فلا تطغى محبة شيء سوى الله على القلب ، ومحبة الله ومحبة ما أحب هي أصل السعادة ومدار القرآن على الأمر بتلك المحبة ولوازمها والنهي عن المحبة مع الله وضرب الأمثال للنوعين وذكر قصص النوعين لأن المقصود أخرى هي

(1)سورة الحج : الآية (11).

(2)سورة التوبة: الآية (24).

(3)ابن القيم :محبة الله ،ص32 .

الدار الآ خرة ونعيمها يقول سبحانه و تعالى [1]﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾وقال سبحانه:[2]﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُون﴾ .

ولأن لكل حي إرادة ومحبة وعمل بحسبه ، وكل متحرك أصل حركته المحبة والإرادة ولا صلاح للموجودات إلا أن تكون حركاتها ومحبتها لفاطرها وبارئها وحده كما لا وجود لها إلا بإبداعه وحده ، وقد خلق الله النفس شبيهة بالرحا الدائرة التي لا تسكن ولابد لها من شي تطحنه فإن وضع فيها حب طحنته وإن وضع فيها تراب أو حصا طحنته فالأفكار والخواطر التي تجول في النفس بمنزلة الحب الذي يوضع في الرحا :[3]وعليه يكون نوع الخبز الناتج فالحرص كل الحرص علي عبادة التفكر والتأمل في مظاهر قدرة الله .

و هو ما يحتاج إلى عون الله و مدده و توفيقه في المداومة على الذكر و التذكير[4] ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾[5] حتى لا تغيب عنه حقيقة الدنيا في كلام الله سبحانه و أنها دار امتحان واختبار فقط فهي تغر وتمر ولا بقاء لشيء فيها ، و معايشة هذ االحقيقة بالعقل و القلب، وحتى يصطبغ الكيان بصبغة الله ، و يتوطن على تصغير الدنيا و تحقير شأنها . ومن السبل التي تنمي محبة الله بحيث تتغلب على محبة الإنسان لمشتهياته وأهوائه تربية الفكر على ربط النعم بالمصدر الذي جاءت منه وهو الله سبحانه باستشعار الشكر والامتنان له وهي الوسيلة التي دلنا عليها

(1)سورة الحديد : الآية (36) .

(2)سورة الأنعام : الآية (32) .

(3) ابن القيم : الفوائد ، بيروت ، مؤسسة الكتب الثقافية ط1 ،ص 199 .

(4)سورة الذاريات : الآية (55) .

(5)سورة القمر : الآية(17).

الرسول ﷺ عندما قال[1] :" أحبوا الله لما يغدوكم به من نعم " ويسألنا الله الشكر إذ يقول : ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾[2] أما السبيل الثاني فهو أن يحرص العبد جهد استطاعته على الابتعاد عن أكل الحرام و أثر الحرام ، إذا دخل الدار أو الجسد يتجلى في إصابة القلب بنوع من القسوة تفوق قسوة الوحوش في نيل شهواتها وممارسة غرائزها أما السبيل الثالث فهو مجالسة الصالحين و الابتعاد عن مجالس الفاسقين التي يتم فيها تداول المحرمات والمنكرات[3] ولذلك يأمرنا الله سبحانه ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة و العشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ﴾[4]

وبذلك تنتصر إرادة العبد فتخرج النفس بالصبر على الطاعة من الطبع إلى التحلي بخصال الإيمان والخير ، ويتحرر القلب ويتخلص من عبادة الهوى و شهوات الدنيا فيطمئن و تنزل فيه السكينة التي هي سلوة المحزون ، ومذهبة الغموم والهموم ، وتبعث العزم وتحول بين العبد وبين الجرأة على مخالفة الأمر والانقياد له ، ويعلم يقينا أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له ؛ لأن قلوب الغافلين معدن الذنوب بأنواعها.

(1) الترمذي : سنن الترمذي ، تحقيق : بشار عواد معروف ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1998 ، باب مناقب أهل بيت النبيﷺ ، ج6 ، ص3789

(2)سورة سبأ : الآية(13).

(3)محمد سعيد رمضان البوطي: الحب في القرآن الكريم ،دمشق ، دار الفكر، مكتبة الأسد ، ط3 ، 2010م، ص49 –53 .

(4)سورة الكهف : الآية (28) .

و مع كمال الإخلاص والذكر والإقبال على الله سبحانه يبعد صدور الذنب عنه[1]، قال تعالى[2]:﴿و كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ .

2. عبودية النفس لله سبحانه :

النفس هنا هي الذات الإنسانية في إرادتها و عزمها و جماع أمرها ، و قد جاء التعريف بالمنعم عليهم بالموصول ﴿ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ ﴾ لأن القصد إبرازهم و تعريفهم بذواتهم[3] أي النظر إلى صفاتهم النفسية و السلوكية ؛ لأن الهداية القلبية إذا تمت ينشرح الصدر[4] ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ وتتسع النفس و يطمئن القلب يقول الله في الحديث القدسي:" لم تسعني سمائي ولا أرضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن" مما يدل على مدى اتساع وانشراح قلب المؤمن الحق ، و يجتمع أمر العبد فلا " يتفرق القلب في أودية الإرادات و شعابها "[5] بل " يجتمع أمره على مراد الله وحده "[6] فيكون مريدا لكل ما يحبه الله منه ، و عازما عليه ، و مريدا لترك كل ما ينهى عنه عازما على تركه بعد خطوره في البال ، منفصلا عنه ، فالمهتدين في هذه السورة هم من استعدت نفوسهم لتلقي الحق بالتجرد من الكبر والتقليد ، وتلقي القرآن بقوة وعزم على العمل وهو مما يناسب وضعها متصدرة الكتاب في ترتيب السور، وكأن العمل بها شرط للتمكن من العمل بما سيأتي بعدها .

---

(1)ابن القيم :مدارج السالكين ، تعليقات : محمد حامد الفقي ، القاهرة ، مكتبة الصفا ، ط1 ، 2004م ، ج2، ص213.

(2)يوسف: الآية(24)

(3)..ابن القيم :بدائع الفوائد، بيروت ، دار الكتاب العربي ،ج2، ص251

(4)سورة الإنشراح : الآية (1) .

(5)ابن قيم الجوزية : مدارج السالكين : ج1 ، ص546 .

(6)المصدر نفسه : الصفحة نفسها .

فإذا نقص من إرادته شيء نقص الهدى بحسبه [1] لأن قيمة العبد همته وإرادته ، فمن لا يرضيه غير الله –ولو أعطي الدنيا بحذافيرها – له شأن ، ومن يرضيه أدني حظ من حظوظها له شأن ، وإن كانت أعمالهما واحدة في الصورة، وقد تكون أعمال الملتفت إلى الحظوظ أكثر وأشق. [2]

و من محبة الله و الانقياد له تتولد جميع المشاعر و الأحوال النفسية الطيبة والزكية و الإيجابية و هي : مشاعر التواضع و الانشراح و السكينة و الرضا الذي هو جنة الدنيا قبل جنة الآخرة و الاستسلام لله ، أي أنها الاستقامة النفسية بكل معانيها .

وقد عد ابن القيم [3] كل هذه الأحوال النفسية ،من منازل قوله :﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ و بذلك تنمو النفس و تتطور و تزكو ، و تتحقق السعادة النفسية التي لا تتعلق بمتاع الدنيا فهي نعم باطنة و خفية لا تستمد إلا من الرغبة في الله و خلوص القلب له ، يتضح ذلك في علاقة هؤلاء المهتدين بعضهم مع بعض و التي هي علاقة انسجام و تآلف و تواد و تخلص من نوازع الانفراد بالخير حيث جاء التعبير بصوت الجماعة في الأفعال : (نعبد – نستعين – اهدنا) واتباع جمع الصالحين الذين أنعم الله عليهم ، و الفرار من المردودين ، و تعميم الدعاء دليل الخروج من الأنانية و ذهاب الأثرة الشح و دليل محبة الآخرين التي هي من محبة الله و الرغبة فيما عنده .

ثالثاً **: الهداية السلوكية (الاقتداء بالأنبياء و الصالحين) :**

كل تصرف يسبقه تصور بسبب حركة الفكر في المعقولات و ملاحظة المعلوم لتحصيل المجهول ، ومن ثم تحصيل الأدلة التي تميَز بين الحق و الباطل ،

(1)ابن قيم الجوزية : بدائع الفوائد ، ج2 ، ص267 .

(2)ابن القيم : مدارج السالكين ، ج1 ، ص618 ،.

(3)ابن القيم : مدارج السالكين ، ج1 ، ص75 ، وما بعدها إلى آخر الكتاب .

وبين الصواب و الخطأ و اتباع الحق الخالص من الشبهات [1] مما يتوجب الاقتداء بالأنبياء للوصول للهداية الكاملة [2] ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ و قد ذهب بعض المفسرين إلى أن الصراط المستقيم هو الرسول ﷺ و صحابته أبوبكر و عمر ﷺ ؛ لأنه بلغ جميع مراتب الهداية ورقى إلى أقصى غاياتها ، و هي الهداية الكاملة التي يتعيّن طلبها و تحري طريقها و الثبات عليها .

و كل ذلك على مقادير استعداد النفوس و سعة مجال العقول بحيث لا يعتريهم زيغ في دينهم[3] ، وكل حسب حاله في خاصة نفسه فهو بحاجة إلى الهداية في جميع شؤونه على الدوام ، فلا تغلب شهوات النفس على اتباع الدين فيكون من المغضوب عليهم ، و لا يضل الفهم بقصد و بغير قصد فيقع في الضلال ، فيتجنب بالاقتداء صراط هؤلاء و هؤلاء ، والخطر كل الخطر يكمن في ادعاء محبة الله دون تحقيق العنصر الأول وهو الخضوع لله واتباع تشريعاته وما جاء به الرسل قال سبحانه[4]: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ فتحصل الاستقامة وهي الاجتهاد في التوسط ما بين الإفراط وهو الجور على النفس و التفريط وهو الإضاعة ، والتوافق مع ما يثبته العلم ، لا متجاوزا حد الإخلاص ولا مخالفا منهج السنة ، تاركا داعي الحال والهوى ، فهذا الميزان الثابت والمنهج الواضح هو ما يرجع له العبد في كل ما يعرض من مشاعر وأفكار وتصورات وكل ما يجد له في حياته من ملابسات و ظروف ليزنها ويرى قربها أو بعدها من الحق والصواب .

---

(1)ابن عاشور : التحرير و التنوير ، مج1 ، ج1 ، ص189 .

(2) سورة الأنعام : الآية (90) .

(3)المصدر نفسه ، ص191 .

(4) سورة آل عمران : الآية (31) .

قال بعض السلف : ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان، إما إلى تفريط أو إلي مجاوزة وهي الإفراط ولا يبالي بأيهما ظفر زيادة أو نقصان[1] .

وطلب الهداية متلبس بحال و جود الإنسان على الدوام لأن ما يصلح لحال العبد في خاصة نفسه ليس هو ما يصلح لغيره ، وما يصلح له في مرحلة من حياته ليس هو ما يصلح له في مرحلة أخرى ، و ما يصلح لأهل عصر ليس هو ما يصلح لعصر آخر و هكذا على الدوام ، فطلب الهداية ليس تحصيلا للحاصل ، بل هو طلب ما هو غير موجود وقت الطلب ، وهو الزيادة في الهدى على الدوام و الثبات عليه ، و الوقاية من التقصير و الميل عنه ، قال ابن عاشور[2] في تفسير الصراط أنه جميع المعارف الصالحة كلها من اعتقاد و عمل بأن يوفقهم إلى الحق و التمييز بينه و بين الضلال .

وقد تلازم فعل العبادة مع طلب العون عليها والتوفيق فيها ؛ لأن الصراط المستقيم محفوف بمخاطر الغواية من الشيطان الرجيم ، فهو الطريق الذي يرصد منه حركة البشر ليضلهم عن سبيل الله [3] ﴿ لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ فلا يتمكن العبد من الاستقامة إلا بمعونة الله ونصره توفيقه:

وقد تمثل صلاح السلوك بعد صلاح القلب في هذه السورة في أمرين

الأول : الصلاة ، والثاني : الدعاء

(1) ابن القيم : مدارج السالكين، ج1 ، ص517 .

(2)المصدر نفسه ، ص191 .

(3)سورة الأعراف : الآية (16) .

لقد أقيمت السورة على غرض الدعاء فالمقام مقام دعاء و صلاة ، و معاني السورة مرتبطة بالمقام ارتباطا كبيرا ﷺ يقول[1] فالسورة هي صلاة ودعاء في مجملها

"لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب " يقول الرسول ﷺ[2] " الدعاء مخ العبادة "

فالصلاة تجمع بين السلوك الظاهر و السلوك الباطن للعبد ، وهي حضور بين يدي الله سبحانه و دعاء له وخضوع وتذلل و انكسار، و الدعاء اقتضاه الانفعال بالاقتراب من الله سبحانه واستشعار هيبته وجلاله .

و تحوُّل الكلام من الغيبة إلى المواجهة بكاف الخطاب في قوله ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يشعرنا بالاقتراب [3]﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ و المشاعر الطاغية على العبد أثناء الصلاة هي الخشوع و الخشية و الهيبة و التقديس و الإحساس بعظمة الله مولى النعمة ، القوي القاهر المسيطر على كل شيء ، مما يدعونا للبكاء خشوعا و هيبة و إجلالا ، أو التباكي إحساسا بتلك اللحظات المهيبة و محاولة البقاء داخل تلك الحالة الشعورية لسد منافذ الشيطان ، و منع استحواذه على الفكر و القلب ، و إيقاع السهو للحيلولة دون الاستفادة من الصلاة والاستمتاع بها ، و لعلنا نفهم من بيان الرسول ﷺ للكيفية الهادية إلى هذه الحال العالية في الصلاة ، لقد نهى الرسول ﷺ عن[4] (نقر كنقر الديك و إقعاء كإقعاء الكلب والتفات كالتفات الثعلب)

---

(1)البخاري : صحيح البخاري،باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات الخمس ،(756)، ج1 ،ص151.

(2)البخاري ،صحيح البخاري ، باب قول النبي جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ،(438)، ج1 ، ص95.

(3)سورة العلق : الآية (19) .

(4)أحمد بن حنبل : مسنده ،تحقيق أحمد محمد شاكر ،القاهرو ،دار الحديث، ط1، 1995، ج7 ،ص349 ، رقم (7586).

و هو يدل على أنه لا تتم الطمأنينة و السكينة ما لم تسكن الجوارح و تطمئن في ركوع و سجود تستقر فيه أعضاء الجسد ، و تنقطع على الحركة المألوفة تعبيرا عن عبودية الجوارح و استسلامها انسجاما مع عبودية القلب لله و تحرره من طغيان الدنيا و شهواتها ، فإذا انسجم ظاهر العبد مع باطنه و توحد مع نفسه واجتمع أمره تحققت الفائدة النفسية والروحية من الصلاة ، ذلك لأن انفعال القلب بعبادة الله و الشعور بالخشوع و الخشية و الطمع في الرحمة هو الحالة النفسية المعبرة عن سلامة القلب و استعداده للتلقي والأخذ عن الله سبحانه ، وحصل الغرض الأساسي من الصلاة وهو نمو القوى النفسية و الروحية وتقويتها للقيام بسائر الطاعات فالفاتحة أم الكتاب و الصلاة أم الطاعات .

ذلك لأن القدرة على إقامة الصلاة كاملة يعني القدرة على ترويض قوى النفس و تربيتها على مخالفة هواها و اتباع مراد الله و أمره ، والخشوع في الصلاة يعني الانفصال عن الدنيا وشهواتها والوجود كله ؛ واستحضار الأعظم والأكبر والإحساس به خمس مرات يوميا ، هذا ما ينمي القوى النفسية لمواجهة كل مواقف الحياة وإدارة ضغوطها بنجاح بحيث لا تستهلكنا المواقف مهما كانت صعبة وعسيرة ؛ لأن المصلي لا يعظّم إلا الله سبحانه ؛ لأنه حال خشوعه يكون محقرا الدنيا ملتفتا عنها معظما الله وحده ، فيصبح بالله قويا ؛ و يتحصّن بالصلاة من الضعف والعجز واليأس والإحباط والغم ، ويتمكن من الكف عن محارم الله وينتصر على شهواته بعون الله وتوفيقه ونصره له .

و الرسول ﷺ كان يقول أرحنا بها يا بلال، فمن علامات إقامة الصلاة على وجهها ، والحصول منها على أعظم الفائدة النفسية والروحية ، أن يستريح العبد بها ولا يستريح منها ، لذلك كانت إقامة الصلاة تعني إقامة الدين كله ، أي أنها الوسيلة المؤدية إليه ، و قد جعلها الرسول ﷺ عمود الدين ، والمؤمن الذي لا

يجد الراحة في صلاته يحتاج إلى إعادة النظر في صلاته وحياته الإيمانية كلها ؛ ليعرف موضع الخلل والضعف ويصلحه.

فالصلاة في حقيقتها طلب للهداية بالقول و الفعل ، و استمداد للقوة على ممارسة الهداية و معايشتها في حركة الحياة كلها ، و الذي يقتضي الحصول على كل خير قال الرسول ﷺ يقول الله تعالى[1] "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فإذا قال الحمد لله رب العالمين ، قال الله : مجدني عبدي ، إذا قال : الرحمن الرحيم ، قال الله : أثنى علي عبدي ، فإذا قال : مالك يوم الدين، قال الله : مجدني عبدي ، فإذا قال : إياك نعبد و إياك نستعين ، قال : هذا بيني و بين عبدي و لعبدي ماسأل ، فإذا قال : اهدنا الصراط المستقيم ...إلى آخر السورة ، قال الله : هذا لعبدي و لعبدي ماسأل"[2]

فدعاء العبد مجاب فيما طلب من المعونة فلا يقع لمن اعتقد مقتضى هذه الآية عجز عن مرام أبدا، إنما يقع العجز بحسب درجة ضعف الإيمان والجهل بمقتضي ما أحكمته هذه الآية والغفلة عن النعمة بها [3] ، و الرسول ﷺ يقول "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز" [4] فبالخشوع في الصلاة والاستمرار عليها يكون متهيئا و مستعدا لتلقي الحق وشريعته والتقاط إلهاماته وفهم رسائله عبر أقداره و التمكن

(1)مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم ،تحقيق :محمد فؤاد عبد الباقي ،بيروت ،دار إحياء التراث العربي،باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة،(395)،ج1،ص296.

(2)أبو داود : سنن أبي داود ،، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد،بيروت ، باب من ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب ،ج1 ، ص216 ، رقم (821).

(3)البقاعي نظم الدررفي تناسب الآيات والسور ، ج1 ، ص 37، بتصرف

(4)مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم ، كتاب القدر ، باب الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير إليه ، رقم (2664)ج4 ،ص 2053

من الثبات علي الحق وأداء الواجب والتزام الصواب في السراء والضراء الأمر الذي لا يتم إلا بعون الله وتوفيقه ونصره لأهل طاعته ومحبته .

الخاتمة

إن الهداية في سورة الفاتحة هي العبودية لله ، و التي هي الخضوع والمحبة معا ، والمهتدين هم من استعدت نفوسهم لتلقي الحق بالتجرد عن الكبر والتقليد وتلقي القرآن بقوة وعزم على العمل واتباع الرسول ﷺ للانضواء تحت لواء المنعم عليهم من الأنبياء والصديقين والصالحين، **وتخلص الدراسة إلى النتائج و التوصيات التالية :**

– التعريف بالملك وبحقه وما يرضيه هو مقصود القرآن الذي انتظمته سورة الفاتحة بالقصد الأول .

– يتعين لمن يريد الهداية أن يجتهد في تصفية سره وجمع متفرق أمره لينال سؤله ومراده بما أودعه من خزائن السعادة في الفاتحة بإعراضه عن شيطانه وإقباله على الله سبحانه و خلو القلب مما سواه ، ولعله من أسرار تصدر الفاتحة لسور القرآن وكتابتها على هذا الترتيب في المصحف فكانت أما لما جاء بعدها وعقيدة وشريعة

– إذا صفا القلب و خلى مما سوى الله صار مستعدا ومتهيئا لأن يتلقي عن الله الحق ، شريعته وإلهاماته ،.و لعله من مقتضي صيغة فاتحة " إذ تستوجب أن موصوفها شيء يزيل حاجزا إذ خلوص القلب لله لا تبقى معه أي غشاوة ولا تحتويه أي غفلة .

– كلما زادت معرفة العبد بالله كلما تحقق إيمانه به وحبه له ، فلابد من استنهاض الفكر لتأمل النعم المسخرة ، و شكر الله وحمده على ما أنعم به وجاد ، فطلب العلم والمعارف النافعة لمن أعظم العبادات التي يتقرب بها العبد إلى الله سبحانه.

– جعل الله المقبولين طائفة واحدة و هم الذين أنعم الله عليهم و هم من عرفوا الحق و عملوا به ، أما الذين عرفوا الحق و لم يعملوا به ، فهم المغضوب عليهم الفسقة الذين اتبعوا أهواءهم وغلبوا الدنيا على الدين ، أما الجاهلون بالحق فهم الضالون فضلوا العمى على الهدى .

– الاجتهاد في طلب الهداية ، والثبات عليها إلى الممات بالمداومة على التذكير بحقائق القرآن الواردة في أحوال الدنيا و الآخرة بتلاوة القرآن وتدبر معانيه .

– من الوسائل المعينة علي الهداية المداومة على الذكر والشكر والالتزام بأكل الحلال وكسبه ، والحرص على مصاحبة الصالحين واتباعهم والتلقي منهم والابتعاد عن مجالس الفساق الذين يتعاطون المحرمات والمنكرات .

– طلب المعونة على الخير من الله مجاب والعجز يقع بحسب ضعف الإيمان وعدم التوكل والجهل بمقتضي ما جاء في سورة الفاتحة .

المصادر والمراجع

1-القرآن الكريم

2- ابن حنبل: مسنده، تحقيق أحمد شاكر ،القاهرة، دار الحديث، ط1، 1995

3- البخاري: صحيح البخاري ،تحقيق:محمد زهير بن ناصر،دار طوق النجاة ، ط1 ،1422هـ.

4- البقاعي : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، القاهرة ، دار الكتاب الإسلامي

5-البيضاوي : تفسير البيضاوي ، تحقيق : مجدي فتحي السيد ، ياسر سليمان أبوشادي ، القاهرة ، المكتبة التوفيقية .

6- الترمذي : سنن الترمذي ، تحقيق : بشار عواد معروف ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1998

7- ابن تيمية : العبودية ، بيروت ، دار المكتبة العلمية ، 1997،

8- أبو حيان : البحر المحيط ، بيروت ، دار الفكر ، 2005م .

9- الرازي: التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، لبنان، دار الباز، مكة المكرمة.

10-الراغب الأصفهانى: معجم مفردات القرآن، تحق : يوسف الشيخ محمد ،لبنان دار الفكر ، 2010 م .

11- الزركشى: البرهان فى علوم القرآن، تحق : أبو الفضل الدمياطي ،القاهرة ، دار الحديث ، ص 431.

12-الطبري : جامع البيان ، تحقيق : عبدالله بن محمد عبد المحسن ، دار هجر للطباعة والنشر ابن عاشور : التحرير و التنوير ، تونس ، دار سحنون .

13- ابن عطية: المحرر الوجيز، تحقيق :عبد الله بن إبراهيم الأنصاري . القاهرة ، دار الفكر العربي

14- فاضل صالح السامرائي : لمسات بيانية ،الأردن ، دار عمار ، ط3 ، 2006م.

15- القاسمي : تفسير القاسمي ، علق عليه : محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية ، ط1 ، 1957 .

16- القرطبي : الجامع لأحكام القرآن : القاهرة ، دار الحديث ، 2005 .

17- ابن قيم الجوزية : بدائع الفوائد : تحقيق ، سيد عمران ، عامر صلاح ، القاهرة ، دار الحديث ، ، 2006م .

18- ابن القيم : مدارج السالكين ، تعليقات : محمد حامد الفقي ، القاهرة ، مكتبة الصفا ، ط1 ، 2004م ، ج2، ص.213

19- ابن القيم : محبة الله ، القاهرة ، دار السلام ، ط1 ، 2005 .ابن القيم : الفوئد ، بيروت مؤسسة الكتب الثقافية ط1 .

20- ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : حامد أحمد الطاهر ، القاهرة ، دار الفجر للتراث ، ط1 ، 2002م ، ج1، ص46 .

21- محمد سعيد رمضان البوطي: الحب في القرآن الكريم ،دمشق ، دار الفكر، مكتبة الأسد ، ط3 ، 2010م .

22- محمد عبده : تفسير المنار ، دار المنار ، القاهرة ، د.ط .

23-ابن منظور : لسان العرب ، مصور على طبعة بولاق

24- مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم ، تحقيق :محمد فؤاد عبد الباقي ،بيروت ،دار إحياء التراث العربي.